

فصل الخطاب



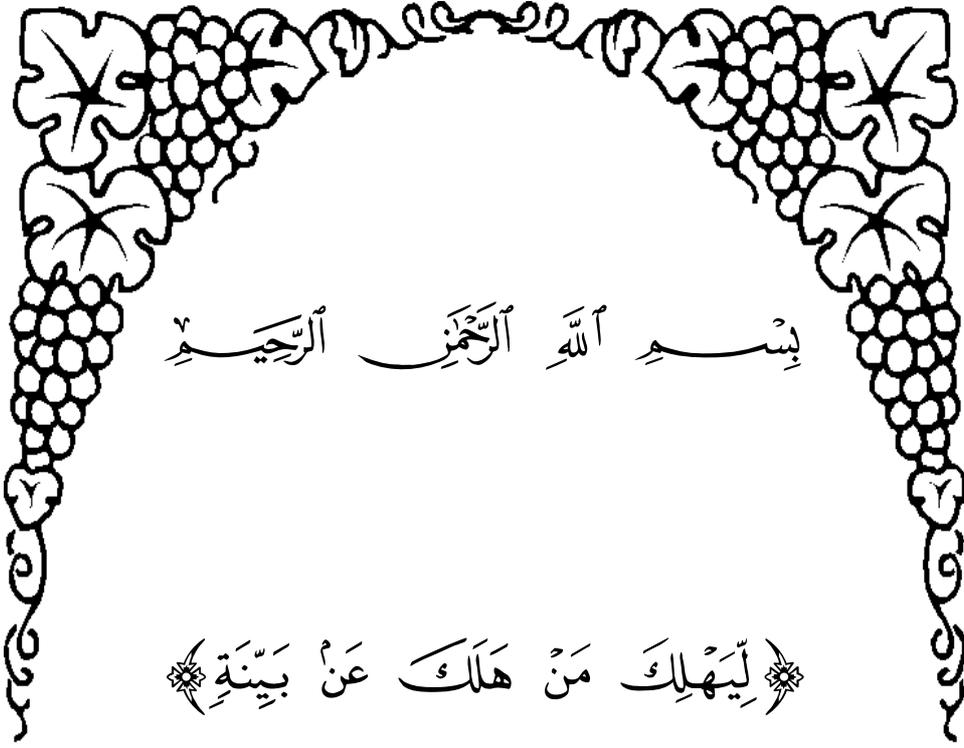
فصل الخطاب
في
إثبات تحريف
كتاب رب الأرباب
عرض ... نقد

تأليف: محمد حبيب

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



[الأنفال: ٤٢]



مُقَدِّمَةٌ

في ربيع الثاني من عام ١٣٨٨ هـ الموافق لشهر تموز (يوليو) ١٩٦٨ م، ومن مكتبة (شفيعي) في السوق (البازار) الواقع قرب ساحة ميدان الشاه (سابقاً) في مدينة أصفهان، إحدى كبريات مدن إيران، حصلت على نسخة نادرة من كتاب **(فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)**، ودفعت الثمن للبائع العجوز الذي تردّد مرات قبل أن يسلمني هذه النسخة النادرة لأكثر من سبب. وعُدت بعدها أدراجي إلى منزلي وكأني أحمل عرش بلقيس أو كنوز كسرى أنوشروان. وشُغلت بقراءة الكتاب وفك رموزه وهضم محتوياته المدهشة ليالي وأياماً، وكررت قراءته مرات ومرات، فكان لا يزيدني ذلك إلا نهماً وعجباً، وإلا رغبة في الإعادة، وفي الإعادة كل الإفادة.

ومما زاد في عجبي أنني لم أر في كبريات المكتبات الإسلامية بطهران وأصفهان وشيراز أي رد على دعاوى المؤلف وافتراءاته باللغة العربية، ولم أسمع عن مثل ذلك باللغة الفارسية.

وطالما رجعت بمخيلتي إلى الوراء مئة عام، إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري حيث نزل الكتاب المذكور إلى الأسواق والمكتبات وتناقلته أيدي العامة والخاصة، وغزا الحوزات العلمية في قم وشيراز وأصفهان من بلاد الفرس والعجم، وكربلاء والنجف حيث العتبات المقدسة كما تزعم الرافضة المبتدعة، وكثيراً ما تساءلت بمرارة وأسى: هل ثار الشعب الإيراني يومئذٍ يتقدمه علماء الملة والدين وحجج الإسلام الكبرى والصغرى، وآيات الله العظمى، وأنصار أهل البيت - زعموا - على الكاتب والكتاب

وانتصروا لدين رب الأرباب؟ هل قتلوا المؤلف المرتد؟ هل صلبوه؟ هل حرقوا كتابه وحرّموه؟ هل طاردوهما في كل نادٍ وأخرجوهما من البلاد؟ هل حرروا المقالات وألقوا الكتب والمصنّفات في الردّ على ذلك الزيغ وتلك الافتراءات؟ أم ماذا فعلوا يا ترى؟!

في الحقيقة والواقع لم يفعلوا شيئاً من هذا القبيل، ولكنهم اعترفوا للمؤلف بالعرفان والفضل الجزيل، وأكرموه وبجلّوه وصنّفوه في زمرة آيات الله المنافحين عن دينه، المجاهدين في سبيله! واعترفوا بجميله في الحياة وبعد الممات، وذلك حين دفنوه في العتبات المقدسة - زعموا!! - بالنجف الأشرف ببالغ الحفاوة والإجلال.

وجاء في ترجمته في كتاب شرح حال رجال إيران في القرن ١٢ و١٣ و١٤هـ: أنه «آية الله ميرزا حسين نوري المازندراني الطبرسي العالم المحدث المحترم، صاحب التصانيف الكثيرة، المتوفى عام ١٣٢٠هـ والمدفون في العتبات المقدسة!! زعموا، تقديراً لعلمه وفضله وجهاده وجزارة إنتاجه، حيث أثرى المكتبة العربية الإسلامية بمؤلفاته وأسفاره، ومنها كتابه هذا: **(فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)!**» حتى جمال الدين الأفغاني^(١) الذي كان واحداً ممن

(١) جمال الدين الأفغاني: واحد من رجال إيران في القرن التاسع عشر الميلادي، ولد في إيران بقرية أسد آباد عام (١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م)، ومات في إستانبول (١٣١٤هـ - ١٨٩٧م) بداء السرطان في فمه، بعد أن قضى عمره عزباً ولم يعقب ولداً. رحل مع والده إلى أفغانستان وهو طفل صغير، وتلقى علومه الشرعية في النجف وهو شاب يافع. وتنقل بين عواصم الدول الشرقية والغربية، ولكن أخطر رحلة له كانت إلى مصر، حيث قضى فيها حوالي ثماني سنوات من محرم (١٢٨٨هـ - ١٨٧١م) حتى رمضان (١٢٩٦هـ - أغسطس ١٨٧٩م) أيام الخديوي إسماعيل، ثم ابنه توفيق الذي طرده من البلاد بتهمة الفسوق والفساد في الدين والدنيا. فخرج منها بعد أن حقق أهدافه ومنها:

أ) أنه غزا الأزهر معقل أهل السنة والجماعة، واستطاع أن يزحزحه عن جموده ويسلك به السبل المؤدية إلى دماره.

ب) أنه أسس أول محفل ماسوني وطني مصري تابع لمحفل الشرق الفرنسي بعد أن انسحب من المحفل الماسوني الإسكتلندي - لتخاذه عن تحقيق أهداف الماسونية، وكان مما قاله في نقد المحفل الإسكتلندي: «ما كنت لأتخيل أن الجبن يمكن أن يدخل =

= بين أسطوانتي المحافل الماسونية. فإذا لم تتدخل الماسونية في سياستها وفيها كل بناء حر، وإذا آلات البناء التي بيدها لم تستعمل لهدم القديم وبناء معالم حرية صحيحة وإخاء ومساواة، ولدك صرح الظلم والعتو والجور، فلا حمل الأحرار مطرقة حجارة ولا قامت لبنائتهم زاوية قائمة، دعوني أكن ماسونياً نزيهاً، إذا لم يكن حرصاً على شرف شخصيتي فخوفاً من أن تُعاب الماسونية» وكان من رواد محفله المصري مئات من المثقفين من مسلمين ويهود ونصارى، وعلى رأسهم: محمد عبده، وأديب بيك إسحاق سكرتيره الشخصي - وهو أديب مسيحي كاثوليكي، مات شاباً فترك فراغاً كبيراً وأثراً عميقاً في نفس السيد الأفغاني - ويعقوب صنوع اليهودي الإسرائيلي صاحب المجلة الهزلية النقدية (أبو نضارة) ونديمه الشخصي.

ج) ومنها: أنه أحيا الدعوة إلى القومية المصرية الفرعونية، وخطب في ذلك يقول سنة ١٨٧٨م: «إنكم - معاشر المصريين - قد نشأتم في الاستعباد، ورُببتم في حجر الاستبداد، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم، وأنتم تحملون نير الفاتحين، وتنحون لوطأة الغزاة الظالمين، تسومكم حكوماتكم الحيف والجور، وتنزل بكم الخسف والذل وأنتم صابرون، بل راضون. فلو كان في عروقتكم دم فيه كريات حيوية نابضة لما رضيتم بهذا الذل وأنتم ضاحكون... تناوبتكم أيدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والأكراد والمماليك... إلخ؛ وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه، وأنتم كالصخرة المُلقة في الفلاة لا حس لكم ولا صوت، انظروا أهرام مصر وهياكل منفيس وأثار طيبة ومشاهد سيوه وحصون دمياط، فهي شاهد بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم».

[عن تاريخ الإمام محمد عبده، ص ٤٦ فما بعدها؛ وكتاب زعماء الإصلاح لأحمد أمين].

ووَجَّهَ الهمم لتأسيس الأحزاب السياسية الوطنية.

د) ومنها: دعوته لوحدة الأديان، وكان يقول: «إن الأديان الثلاثة كلها أساسها واحد. وإنما يوسع شقة الخلاف بينها اتجار رؤساء الأديان بها». المصدر السابق.

ودعوته إلى وحدة المذاهب، وهو في الحقيقة ملحد لا يؤمن بمذهب ولا دين؛ شهد له بذلك الفيلسوف الفرنسي (رينان) حين قال في ترجمته: «تعرفت بالشيخ جمال الدين من نحو شهرين؛ فوقع في نفسي منه ما لم يقع إلا من القليلين. وقد خيل إليّ من حرية فكره ونبالة شيمه وصراحته وأنا أتحدث إليه، أنني أرى أحد معارفي من القدماء وجهاً لوجه؛ وأني أشهد ابن سينا أو ابن رشد أو واحداً من أولئك العظام الذين ظلوا خمسة قرون يعملون على تحرير الإنسانية من الإسار». يعني: كبار الماسونيين العالميين. [عن كتاب زعماء الإصلاح، ص ٩١] كما شاع على لسان العامة والخاصة أمر إلحاده، =

عاصره لم يرد عليه بنفسه أو بواسطة تلميذه الإمام محمد عبده^(١)!!!

= وذلك عندما خطب في دار الفنون وهو في طريقه من حلب إلى الآستانة خطبة قرر فيها: أن النبوة صناعة يمكن أن ينالها المرء بالرياضة الروحية. [ص ١١٠ المصدر السابق]. وفي مصر رماه بالإلحاد كبار علمائها وعلى رأسهم الشيخ عليش شيخ الأزهر. وأقر بذلك أنصاره وعلى رأسهم: سليم بيك عنحوري في كتابه (سحر هاروت). والسيد أحمد أمين الذي علق على شهادة (رينان) قائلاً: «وهذا أدق موقف، فرينان فيلسوف واسع الذهن، دقيق التعبير، لا يلقي الكلام على عواهنه» [المصدر السابق، ص ١١١]. (هـ) ومنها: إخفاؤه لحقيقة مذهبه الجعفري، وتظاهره بأنه من أهل السنة والجماعة، فنسب نفسه إلى الأفغان وتجاهل نسبته إلى إيران ليخدع أهل السنة ويتزعمهم ليحقق فيهم مآرب أسياده. وفيما كان يدعي أنه أفغاني وسيد من سادات أهل البيت؛ وجدناه يذهب إلى أميركا ليحصل على الجنسية الأميركية، ولكنه أخفق وعاد بعد أن مكث فيها بضعة أشهر، جاء ذلك على لسان المؤرخ والمستشرق الإنجليزي المعروف (المستر بلونت) [المصدر السابق، ص ٨٠].

(١) محمد عبده: واحد من أشهر رجالات مصر في القرن التاسع عشر الميلادي، ولد سنة (١٢٦٦هـ - ١٨٤٩م)، ومات (١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) بمرض السرطان في فمه أيضاً كأستاذه جمال الدين، الذي كان يجعله نداءً لله رب العالمين، كما يتجلى لكل من اطلع على رسائلهما المتبادلة. فقد كتب إليه من بيروت إلى باريس بتاريخ ٥/جمادى الأولى/١٣٠٠هـ يقول: «مولاي المعظم - حفظه الله، وأيد مقاصده - ليتني كنت أعلم ماذا أكتب إليك، وأنت تعلم ما في نفسي كما تعلم ما في نفسك صنعنا بيدك... وأنشأتنا في أحسن تقويم! فبك عرفنا أنفسنا وبك عرفناك، وبك عرفنا العالم أجمعين... فعنك صدرنا وإليك إليك المآب...!»

إنني منك في ثلاث أرواح لو حلت إحداها في العالم بأسره وكان جماداً لحال إنساناً كاملاً، فصورتك الظاهرة تجلت في قوتي الخيالية، وامتد سلطانها على حسي المشترك، وهي رسم الشهامة وشيح الحكمة وهيكل الكمال. فإليها رُدَّت جميع محسوساتي، وفيها فنيت مجامع مشهوداتي، وروح حكمتك التي أحييت بها مواتنا، وأثرت بها عقولنا، ولطفت بها نفوسنا، بل التي بطنت بها فينا، فظهرت في أشخاصنا. فكنا أعدادك وأنت الواحد، وغيبك وأنت الشاهد. ورسمك الفوتوغرافي الذي أقمته في قبلة صلاتي رقيباً على ما أقدم من أعمالتي، مسيطراً عليّ في أحوالي...

على أن ما يكون إلى المولى من رقائم [رسائل] ليس إلا نوعاً من التضرع والابتهاج!!! ومع ذلك فإني لا أتوسل إليك في العفو عما تجد من قلق العبارة، وما ترى مما يخالف سنن البلاغة بشفيح أقوى من عجز العقل عن إحداق نظره إليك، وإطراق الفكر خشيةً منك بين يديك! وأي شفيح أقوى من رحمتك بالضعفاء، وحنوك لمغلوب الحياء!!! =

= نحن الآن في مدينة بيروت نقضي بها مدة ثلاث سنوات... ولولا أطفال رُضع ونساء لنا طُوع... لكنت أول من تلقاك في مدينة باريس لأسعد بالإقامة في خدمتك، وأفخر بذلك على العالمين...

أما ما يتعلق بنا، فإنني على بينة من أمر مولاي، وإن كان في قوة بيانه ما يشكك الملائكة في معبودهم، والأنبياء في وحيهم!!! ولكن ليس في استطاعته أن يشكك نفسه في نفسه...

وما حكّم به سيدي من سلب الوفاء عن المصريين ربما تضافرت عليه الأدلة، وتشهد لنا وله عليه الحوادث. غير أننا لسنا أولئك. فقد أخرجنا المولى عن طباعنا وأنبتنا نباتاً حسناً غريباً، لا يغتدي بغذاء تلك الأرض، ولا ينمو بهوائها... وإني أعلم أن كلامي لا يزيد في يقين مولاي شيئاً، وسكوتي لا ينقص منه. فلنعدّ عن هذا ونستمنح من كرمه الواسع أن يمنّ علينا بأمرين: أحدهما: إرسال رسمه الفوتوغرافي الجديد. فإن هذا الخادم [يعني نفسه] كان عنده نسختان من الفوتوغرافية الأولى: إحداهما: أخذها أعوان الضبطية [الشرطة] من بيتي عندما أودعت السجن، كما أخذوا كتاب الماسون بخط مولاي المعظم، والثانية: كان استجدانها سعد أفندي زغلول وهو من خواص محسوبيكم، ولشفقتي عليه تركتها له أياماً ليعيش أعواماً، والثاني: أن يتابع ما ينشره من فصوله السياسية والأدبية في الجرائد أياً كانت... وإلى الآن نبحت عن مقالة (الشرق والشرقيين) ولا نجدها... ثم إننا نخبر سيادتكم خبراً تُسرون به؛ وهو أن أعيان المسلمين من آل بيروت وأمرائهم لم يألوا جهداً في إكرامنا والاحتفاء بنا... وما كل هذا إلا من آثار فضلكم. فلكم الشكر على كل نعمة وصلت أو تصل إلينا وإلى أعقابنا من بعدنا، ونرجو من سعة كرمكم أن تمنوا على خادمكم [يعني محمد عبده] بأسطر من خطكم الشريف... والسلام».

٥/جمادى الأولى/١٣٠٠هـ

خادمكم محمد عبده

التوقيع انتهى

نقلًا عن وثيقة مصورة بخط محمد عبده (تصوير ١٣٤ - ١٣٧) في كتاب «مجموعة إسناد ومدارك آف نشده دربارہ جمال الدین مشہور بہ أفغانی» الذي نشرته جامعة طهران تحت رقم (٨٤١)، والمحتوي على الوثائق التي عثر عليها عند جمال الدين الأفغاني. وقد نشر رشيد رضا هذه الرسالة في كتابه «تاريخ الأستاذ الإمام» (٢/٢٩٩) وقال: «إنه أغرب كتبه، بل هو الشاذ فيما وصف به أستاذه السيد مما يشبه كلام صوفية الحقائق والقائلين بوحدة الوجود التي كان ينكرها عليهم بالمعنى المشهور عنهم».

نقلًا من كتاب «الإسلام والحضارة الغربية» للدكتور محمد محمد حسين.

= ولقد أورد أنور الجندي في كتابه «صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر» =

= بعض الصفحات الفاضحة والمخزية عن محمد عبده؛ حيث يتحدث ببحث تحت عنوان: (ثلاثة زعماء من صالون نازلي فاضل - سعد زغلول ومحمد عبده وقاسم أمين) ذلك الصالون الذي استُديت واستُقدمت له من قبل الإنكليز لتكوّن صلاتٍ بطائفةٍ من شباب مصر لإعدادهم إعداداً معيناً، وليؤدوا أدواراً هامة في تاريخ مصر، وذلك الصالون الذي كُتب فيه جزء من تاريخ مصر لم يُرفع عنه الستارُ بعدُ تجمعت فيه أصول الزعامة السياسية والاجتماعية والدينية التي فرضت نفسها على مصر طويلاً، وما زالت الأقدام والكتب والصحف حتى عهد قريب تشيد بها وتمجدها، وتعدّها بذرة النهضة والحرية، حيث بُذرت في هذا الصالون بذور السياسة التي نادى بها اللورد «كرومر»، والتي تطالب بالالتقاء بالإنكليز في منتصف الطريق، فنازلي فاضل كانت صاحبة الأثر البعيد في ربط صداقة سعد زغلول ومحمد عبده باللورد «كرومر»، وكان هذا مما قارب بين سعد ومصطفى فهمي صديق الإنجليز ورئيس وزرائها ثلاثة عشر عاماً ووالد «أم المصريين»، ومن المقطوع به أن نازلي فاضل هي التي توسّطت لدى كرومر لإعادة الشيخ محمد عبده من المنفى... ويقول اللورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة): «إن العفو عن الشيخ محمد عبده كان بسبب الضغط البريطاني» ومن المعروف أنه أُعيد برجاء نازلي فاضل، وبعد أن أعطت المواثيق إلى كرومر بأنه لن يشتغل بالسياسة العليا. وعندما عاد أصدر تصريحه الذي لعن فيه السياسة وساس ويسوس.

وأما قاسم أمين فقد أصدر في عام ١٨٩٢ كتابه (تحرير المرأة) وقد وضعه هذا الكتاب في صفوف المصلحين الاجتماعيين.... ولندع الأستاذ داود بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام يشرح لنا الدواعي التي حوّلت قاسم أمين من رأي إلى رأي... ومن داعية متحمس للحجاب إلى داعية متحمس للسفور يقول:

«كانت الأميرة نازلي فاضل بنت الأمير فاضل الملقب بأبي الأحرار في تركية وزوجة خليل شريف باشا سفير تركية بباريس قد عادت إلى مصر بعد الاحتلال، فوثقت روابط ودها مع اللورد «كرومر»، وفتحت ناديها لطائفة من نوابغ الأمة كالشيخ محمد عبده، وسعد زغلول، واللقاني، ومحمد بيرم في كل أمر. وفي تلك الفترة ألف الكونت «داركور» كتاباً سمّاه «المصريون»، وملاً صفحاته هجوماً على مصر حمل فيه على نساء مصر، فتصدّى له قاسم أمين وردّ عليه مبيناً فضائل المرأة المصرية وجلالة تقاليدها، وكان ذلك دفاعاً عن الحجاب. واستنكر خطة بعض السيدات المصريات اللاتي يتشبهن بالأوروبيات، فاقتنص الخصوم الفرصة ليقوعوا بين تلك الطائفة من نوابغ الأمة وبين الأميرة، وأخذوا يكتبون في إحدى الصحف ضدهم، فلما كانت ذات ليلة والشيخ محمد عبده في دار الأميرة وقال لهم أحدهم: إن قاسم أمين الذي يؤيده إخوانه - ومنهم محمد عبده - يعينها هي وحدها بدم المصريات اللاتي يقلدن الإفرنجيات ويسرن سيرتهن، =

وهما من أحق الناس بالردّ عليه يومئذ لما لهما من المكانة المرموقة في العالم الإسلامي.

واليوم أجد لزاماً عليّ - وفاءً لكتاب الله العزيز الحميد - أن أتقدم لعلماء المسلمين ودُعائهم في كل قطر ومصر بهذا العرض الموجز لكتاب **(فصل الخطاب)** مع ما تيسر من التعليق عليه؛ ليقفوا على حقيقة أمر القوم، وليكونوا على بينة من أمرهم بعد قيام الحجّة اللائحة والدليل الساطع والبرهان القاطع، ليحيا من حيٍّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، ولتستبين سبيل المجرمين، الذين يلبسون لبوس التقى والدين ونصرة آل البيت الطاهرين، بينما نجدهم يزدرون رسول الله الأمين ﷺ، ويطعنون في الكتاب المبين، ثم يدعون أنهم أول المسلمين^(١)! وهم في الحقيقة بين

= لأنها المصرية الوحيدة التي تقابل الرجال وتجالسهم في ناديها! فغضبت الأميرة واحتدم غضبها، وقالت للشيخ محمد عبده قولاً شديداً كان من نتيجته أن وجه الشيخ محمد عبده قاسم أمين إلى تصحيح خطئه بكتاب ينشره، حتى لا يفقدوا تعضيد الأميرة، وهكذا نتجت عن الفصل الكبير النتيجة الكبرى حيث أخرج مؤلفه: تحرير المرأة. هذا نص ما كتبه داود بركات. وقيل: إن قاسم أمين في مقاله الأول عيّر الفرنسيين بسفور نساءهم، وما سببه ذلك السفور من انحلال خلقي وفساد اجتماعي، ثم دافع عن المصرية المحجبة دفاع المؤمن.

ويتصل بهذا ما قيل من أن قاسم أمين كتب كتابه الأول عن تحرير المرأة تحت إشراف الشيخ محمد عبده، حتى إن فقرات من الكتاب تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده. ولقد ثبت أن الشيخ محمد عبده كان عميلاً للإنكليز، ومستشاراً أميناً لهم إبان الاحتلال البريطاني لمصر والسودان. وكان لفتاواه ضد الجهاد المسلح في السودان أكبر الأثر في تقويض الثورة المهدية السودانية. كما كان أستاذه جمال الدين مستشاراً للإنكليز فيما يخص احتلال أفغانستان، ولعل الله ﷻ يعيني أن أخرج قريباً عنهما كتاباً يتناول أخطر الصفحات فيما خفي من سيرتهما كنت بدأت به منذ سنوات ولما يجد طريقه إلى النور.

(١) يعتقد الشيعة الجعفرية أنهم وحدهم مسلمون مؤمنون، وأن خصومهم من أهل السنّة والجماعة وسائر فرق الشيعة كفار مرتدون. فقد روى الكليني في الكافي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: «من أشرك مع إمام إمامته من عند الله منّ ليست إمامته من عند الله كان مشركاً بالله» ص ٦/٣٢٧، وعن الكاظم (ع) أنه قال: «من أنكر واحداً من الأحياء فقد أنكر الأموات» ص ٦/٣٧، قال الشارح: فالزيدية والإسماعيلية وغيرهم من فرق الشيعة الباطلة كانوا كالمنكرين لخلافة علي (ع)، بل لنبوته رسول الله ﷺ!

ضال ومضلل، ومخادع ومخدوع، وحاقد وحسود، وعميل ودخيل، وعنصري ومجوسي، ما زالت نيران معابد أجدادهم تضطرم في قلوبهم وتأكل أكبادهم وتفجر أحقادهم على مرّ الدهور وكرّ العصور. وما مظاهر البكاء كل عام على الحسين عليه السلام إلا ستاراً^(١) يخفون وراءه بكاءهم على مجد بني ساسان المنهار تحت سنانك خيول المسلمين وجند ابن الخطاب^(٢) المظفرين؛ قل موتوا بغيظكم أيها المنافقون، وانتظروا موهوميكم لينصركم فإننا معكم منتظرون.

هذا، وإن النسخة التي بين يدي من (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) مطبوعة طبعة حجرية قديمة، وتقع في حوالي أربعمئة صفحة من قياس (٢٤ × ١٦) سم، وتشتمل على ثلاث مقدمات وبابين، فيها من كل ما يكدر خاطر ويؤذي العين. فقد اجتهد مؤلفه ما

(١) ينتهز الشيعة - لأغراض سياسية بعيدة المدى - موسم عاشوراء كل عام لتجديد البيعة للأئمة من ذرية علي والحسين عليهما السلام، والبراءة من الخلفاء الراشدين وأهل السنة والجماعة، وتوكيد العهد على الثأر منهم عندما تسنح الفرصة. ومن أدعيتهم المأثورة في هذه المناسبة: «يا أبا عبدالله! إني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم إلى يوم القيامة... أسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني أن يرزقني طلب ثأرك مع إمام منصور... وأتقرب إلى الله ثم إليكم بمولاتكم وموالاة وليكم، وبالبراءة من أعدائكم ومن أشياعهم وأتباعهم... اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني وأبدأ به أولاً، ثم العن الثاني والثالث والرابع... إلى يوم القيامة» ص ٤٥٦، مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي - فصل زيارة الحسين في يوم عاشوراء.

(٢) لما كانت جيوش عمر بن الخطاب، رضوان الله عليه، هي التي أسقطت الدولة الساسانية الفارسية المجوسية، وآلت إليه كنوز كسرى مع الغنائم، وسيقت إليه بناته مع السبايا، وارتوت أرض فارس من دماء المهزومين، وانطفأت نيران المجوسية، وعلت كلمة التوحيد وأسرع من بقي حياً إلى الدخول في الإسلام، وكثر المنافقون الحاقنون لدمائهم يتحينون الفرص للثأر... فلم يجدوا خيراً من التشيع سبيلاً، ومن عاشوراء وسيلة، ومن الكذب والافتراء باسم التقية ديناً. فتسلطوا على أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سباً ولعناً، وتكفيراً، وكذا جميع الصحابة وأمّهات المؤمنين، وبخاصة عائشة رضي الله عنها، إلا علماً وقلّة من الصحابة. وعلى كتاب الله ذماً وطعناً.. فويل لهم مما قالوا، وويل لهم مما كتبوا، وويل لهم مما يكسبون .

وسعه الجهد أن يزخرف أباطيله وأن يزين أضاليله؛ بأسلوب يبدو للوهلة الأولى أنه علمي موضوعي. فهو يُكثر من الأدلة الساقطة والشواهد التافهة، ومن كل ما لا يقوم عليه برهان عند التمحيص والامتحان؛ ليطمس الحق بضباب الباطل، ويحجب الحقيقة بدخان الإفك والتزوير، وغاب عن ذهنه المتخاذل وفؤاده المتآكل أن الحق يعلو ولا يُعلى عليه، ولو تكاثر ضده أُلْفُ شاهدٍ زورٍ وحاقدٍ ومغرورٍ، ليدّعي أن كتاب الله ﷻ قد أصابه ما أصاب كتب أهل الكتاب من التزوير والتزييف والنقص والزيادة والتحريف، حتى غدا اسماً ولا مسمى، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] (١).

ورحم الله الشيخ محب الدين الخطيب (٢) فهو أول من فتح عيني على

(١) سيأتي أن الشيعة يعتبرون هذه الآية من المتشابهات، فلا تقوم دليلاً على حتمية حفظ القرآن الذي بين أيدينا من التزييف والتحريف، أو الزيادة والنقصان؛ بدعوى أن الآية ليست قطعية الدلالة.

(٢) محب الدين الخطيب: وُلد في مدينة دمشق الفيحاء حاضرة الدولة الأموية في حي القيصرية شرقي الجامع الأموي الكبير بنهاية شوال ١٣٠٣هـ وآخر تموز (يوليو) ١٨٨٦م من أسرة لها نسب عريق ومتواصل في العلم والأدب والورع والخطابة والتدريس، وتنسب إلى السيد عبدالقادر الجيلاني، ثم إلى الحسن السبط - سبط النبي ﷺ - حيث انتقل أجداده من بغداد إلى حماة، واستقر قسم منهم في قرية عذراء (عدرا) التي تقع شمال شرق دمشق على بعد عدة كيلومترات أمام ثنية العقاب التي ركز فيها سيف الله المسلول خالد بن الوليد ﷺ راية الفتح، والتي جرت قرب سهلها معركة شقحب الفاصلة بين التتار والمسلمين، والتي شارك فيها شيخ الإسلام المجاهد بسنانه ولسانه ويراعه أحمد ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومنها انتقلوا إلى دمشق حيث كان أبوه الشيخ عبدالقادر الخطيب أحد كبار علماء دمشق، ووالدته آسية الجلاد صاحبة تقوى وصلاح وفضائل خلقية، والتي وافاها الأجل على طريق الحج أواخر ذي الحجة سنة ١٣١٠هـ، وكان محب الدين في السابعة من العمر فشملة أبوه برعايته وتربيته، فأدخله المدرسة الابتدائية في مدرسة الترقى النموذجية التي تقع بجوار دار الكتب الظاهرية، حيث كان والده أميناً لتلك المكتبة التي تحوي ذخائر ونفائس التراث العربي والإسلامي المخطوط، حيث فتح أبصاره منذ يفاعه سنه على الكتب والمخطوطات، وبعد الابتدائية ألحقه والده بالتعليم الثانوي في «مكتب عنبر»، وبعد عام توفي والده وأصبح يتيم الأبوين، فرعاه بعد ذلك علامة الشرق الإمام الحكيم =

= الشيخ طاهر الجزائري؛ حيث كلفه بالعمل بالرغم من صغر سنه بنسخ كتب شيخ الإسلام وأضرابه لقاء أجر زهيد.

ودرس على يد الشيخ القارئ أحمد النويلاتي، والشيخ محمد علي مُسلم، وعلامة الشام الشيخ المحدث جمال الدين القاسمي، وسليم البخاري، ويأتي من بعدهم رفيق العظم وشكري العسلي وسليم الجزائري وغيرهم من الأعلام. فأتقن قراءة القرآن وعلوم النحو والصرف، وزادت ثقافته غنى واتساعاً بما يقرأ وينسخ في دار الكتب، وبما يقتني من الكتب العصرية والإسلامية.

وبدأ ينشر المقالات العلمية والأدبية يوقعها بحرفين م. خ حتى لاقت القبول والرضا، فصار يوقع تصريحاً على كل ما يكتب.

وَأتم محب الدين الدراسة الثانوية وانتقل لبيروت؛ حيث أبحر منها إلى إستانبول حاضرة الخلافة العثمانية لدراسة الحقوق والآداب، وهناك أصبح منزله منتدى وملتقى للطلاب العرب، حيث راحت العيون تراقبهم خفية. ويشاء العزيز القدير أن تمر العاصفة بسلام عليه، فأودع كتبه لدى رجل أمين وغادرها عائداً لدمشق، حيث سافر إلى اليمن مروراً بمصر للعمل في مدينة الحديدية، وصار له نشاط سياسي متميز في اليمن، فأسس مدرسة فيها وحاول تأسيس مطبعة، لكن إقامته لم تدم، فعاد أدراجه إلى دمشق حيث أصدر صحيفة (النهضة العربية)، كما عاصر نشأة الجمعيات السياسية ضد الاستعمار، والمطالبة بالاستقلال عن الدولة العثمانية أيام حكومة الاتحاديين، وأسس أول جمعية عربية في دمشق.

كما استطاع في اليمن بحنكته ودهائه إنهاء ثورة الإمام يحيى حميد الدين ضد الدولة العثمانية حقناً للدماء ودرءاً للمفاسد.

عمل في دمشق في جريدة (المقتبس) التي كان يحررها العلامة محمد كرد علي.

سافر بعدها إلى إستانبول وشهد خلع السلطان عبدالحميد رحمته الله، والأحداث الدامية التي رافقت ذلك العمل، فغادر إستانبول إلى القاهرة؛ حيث باع منزله في دمشق وأسس بثمانه (المكتبة السلفية) في مدخل خان الخليلي المقابل لباب المشهد المنسوب للحسين عليه السلام.

وكتب بجريدة (المؤيد)، وعمل في مدرسة دار الدعوة والإرشاد التي أسسها رشيد رضا، وبعدها دارت رحى الحرب العالمية الأولى الضروس فأرسلته جمعية (العربية الفتاة) مندوباً إلى حاكم نجد الإمام عبدالعزيز آل سعود رحمته الله، وسافر بحراً برحلة طويلة شاقة حيث نزل ميناء البصرة، واعتقله الإنكليز سبعة أشهر كان يطالع خلالها كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، و«مروج الذهب» للمسعودي، وبعض كتب التاريخ، وأفرج عنه فعاد أدراجه إلى مصر.

=

= وبعد دخول الفرنسيين دمشق هرب مع تجار الإبل إلى فلسطين، حيث سافر بالقطار إلى القاهرة. واستقر في القاهرة فأسس مجلة (الزهراء)؛ وهي أدبية اجتماعية استمرت خمس سنوات، ثم أسس (الفتح) من عام ١٩٢٦ - ١٩٤٨م.

وفي هذه الأثناء شارك في تأسيس جمعية الشبان المسلمين في مصر رداً على التيار العلماني المتفرنج ورداً على دعوة الإلحاد والتحلل والثقافة الغربية، فكان مع أبرز الأعلام أمثال الشيخ عبدالعزيز جاويش، وأمير الشعراء أحمد شوقي، ومحمد الخضر حسين، وغيرهم، منارة للنضال ضد الاستعمار من أجل الإسلام، وكان صاحب مدرسة إسلامية عربية وله تلاميذ كثيرون لا يزالون يرتشفون من بحر علمه وتعاليمه، إلى أن اختاره الله ﷻ إلى جواره سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

كان ﷺ سلفياً مؤمناً إيماناً راسخاً بالمثل العليا التي كان عليها سلفنا العظيم، والتي ربي عليها معلم الناس الخير ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكان محققاً ودارساً وشارحاً لا يعرف الكلل والملل والسأم في صومعة العلم التي لم يتغيب عنها لحظة، فأثرى المكتبة العربية الإسلامية بتحقيقاته المهمة لنفائس الكتب والمراجع والمصادر؛ فخدم كتاب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الذي يعتبر فتحاً مبيناً للسنن النبوية، بتحقيق علمي أمين دقيق. وحقق كتاب (المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال) وهو مختصر منهاج السنة تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية، اختصار الحافظ أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي؛ حيث حققه وعلق على حواشيه ووقف على طبعه.

ومن الكتب التي حققها (العواصم من القواصم) في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ للقاضي أبي بكر بن العربي. وقام بشرح الجامع الصحيح للبخاري وتوضيحه، ويقع في عشرة أجزاء.

كما كتب (الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية) والذي ترجم إلى لغات شتى، وطبع كثيراً وما يزال شوكة في حلوقهم.

وله أيضاً (سيرة جيل) - كما رآها - وبقدر ما رآها - في القرن الرابع عشر الهجري اليتيم الغريب المسكين ابن السبيل محب الدين الخطيب.

وله: (مع الرعيل الأول) - صفحات ناضرة تكشف الأضواء عن أمجادنا العظيمة وتعرفنا بعظماء سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، وتعلمنا الطريق إلى الحق والخير في مدرستنا الأولى وأساتذتنا من الرعيل الأول.

ونقل إلى العربية كتاب (الغارة على العالم الإسلامي) تأليف (شاتليه) تاريخ الجمعيات البروتستانية ومؤتمراتهم ومؤلفاتهم وأعمالهم في العالم الإسلامي بمساعدة الأستاذ مساعد اليافي.

= وله أيضاً - (فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للإمام البخاري) - تأليف فضل الله الجيلاني قدم له واستوفى تخريج أحاديثه وفهارسه..
 وحقق (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وحقق تحقيقاً رائعاً مع التعليقات المفيدة والمقدمات الهامة (مختصر التحفة الاثني عشرية) الذي اختصره الألويسي.
 ومن مؤلفاته:

- الأزهر - ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحه.
- البهائية - عقيدتهم وعداوتهم للإسلام.
- من الإسلام إلى الإيمان - حقائق عن التيجانية.
- حملة رسالة الإسلام الأولون وكيف شوّه المغرضون جمال سيرتهم.
- الإسلام دعوة الحق والخير.
- تاريخ الدولة النصيرية للسان الدين بن الخطيب تحقيق وتصحيح.
- من إلهامات الهجرة.
- أولياء الإسلام وهل تطمع أن تكون واحداً منهم.
- الجيل المثالي.
- نشأة التشيع وتطوره والأسس التي يقوم عليها.
- الرعيل الأول في الإسلام.

وقامت في مصر محاولات للتقريب بين دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية ومخالفهم من أهل السنة والزيدية والاباضية، واغتر بذلك الجاهلون الغافلون عما وراء بريق الشعارات الزائفة من حقيقة نوايا القوم، وما تضمّر نفوسهم المشبعة حقداً وكرهية لكتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ومصطفاه ﷺ وصحابته الكرام ﷺ، مما دعا محب الدين الخطيب بعد دراسة أمهات كتب الشيعة لتحري وسائل التقريب فيها، فتبين له استحالة ذلك مما دعاه للرد عليهم مبيناً نواياهم وكاشفاً أستارهم وفاضحاً مراميتهم ومبدداً لأوهامهم وضلالهم، فوضع رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة هي:

(الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية) ولم يرد عليه أحد في حياته، إلا بعد وفاته قام أحدهم وأصدر كتباً صغيرة (مع الخطيب في خطوطه العريضة) فتهجم وتجاهل وتغافل وتعاند وقصد التزييف والتمويه والتشكيك والغش الظاهر والخداع السافر؛ ملاءة سباً وشتماً وقدحاً، وتجاوز الحد حتى طفح الكيل فطعن على أصحاب رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين المهديين وأزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عليهم أجمعين، وأنكر جلّ معتقدات الشيعة التي ذكرها الخطيب في رسالته من أمهات كتب القوم وكذبها؛ ومنها عقيدتهم حول القرآن الكريم بأنه مُحَرَّف ومُغَيَّر فيه، والتقبة التي يجعلونها وسيلة لإظهار ما يخالف الحق والباطل، وظن - خاب فأله - =

حقيقة «القوم» في خطوطه العريضة. وأشار إلى (فصل الخطاب) الذي نحن الآن بصدده نبين للناس خطره، ونكشف لهم زيفه وعورته، وكنا من قبل عنه وعن الحقيقة غافلين، فاهتدينا وتبنا إلى الله رب العالمين.

اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد. اللهم فاشهد.

المؤلف

= أن الساحة خالية ممن ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، الأمر الذي دعا الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمته الله رئيس تحرير مجلة (ترجمان الحديث) بلاهور في باكستان، وأحد علماء أهل السنة، وحامل رايته وخاذل دعاة الباطل، إلى إثبات صدق ما قاله الخطيب لا بالكلام والعواطف بل بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والنصوص الثابتة والعبارات الصريحة والروايات الجلية والقطعية؛ في كتابه «الشيعة والسنة» فكشف وجه القوم الحقيقي، وأماط اللثام عن البشاعة التي حاولوا إخفاءها، وفرح محبو السنة وزاد سرورهم لإبطال كيد المبطلين ونقض شبهات المنتحلين وأغراض المخادعين الذين صدق فيهم قول الله رحمته الله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، ثم ألحقه بسلسلة من الكتب القيمة النافعة مثل: (الشيعة وأهل البيت)، (الشيعة والتشيع)، (الشيعة والقرآن) وبين فيه عقيدة القوم خلال الأدوار التاريخية التالية:

(أ) الدور الأول: ويشمل القرون الهجرية الأربعة الأولى.

(ب) الدور الثاني: ويشمل القرنين الخامس والسادس الهجريين.

(ج) الدور الثالث: ويشمل بقية القرون حتى أيامنا الحاضرة.

وقد أحدث الكتاب ضجة كبرى في الأوساط العلمية والدينية، وكشف النقاب عن وجه الشيعة المستور بقناع التقية والكذب، وأبان حقيقتهم الأصلية ومعتقداتهم الحقيقية في الله وفي الرسول رحمته الله وفي الصحابة والأئمة، كما بين حقيقة اعتقادهم في القرآن المنزل من السماء الموجود في أيدي الناس بالمراجع والمصادر المعتمدة والكتب الموثوقة لدى القوم الذين يخدعون الناس بأدعائهم حب أهل بيت النبي رحمته الله وموالاتهم، ويظهر للناس بأنهم أشد الناس مخالفة لأهل البيت وعداوة.

اللهم انصر الحق وأهله، واخذل الباطل ومعتقيه.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

وصلّى الله على نبينا محمد عبده ورسوله، نبي الهدى والرحمة، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

